سلوك التلميذ داخل المدرسة العراقية القديمة أبان الألف الثالث قبل الميلاد

م.م آمنة سالم إبراهيم
جامعة بغداد/ كلية الآداب
Amna.s@coart.uobaghdad.edu.iq

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٥/٢/٨ تاريخ قبول النشر ٢٠٢٥/٣/٢٠

الملخص:

التعليم هو اللبنة الأساسية التي يتلقاها الطفل منذ نعومة أظافره فهي الساعد القوي الذي يبني شخصيته وينمي فكره، ليرتقي به سلم النجاح والتطور والتقدم، إذ إن الهدف الأساسي من التعليم سواء قديما أو حديثا هو إن يتلمذ الفرد ويتعلم السلوك الحسن والانضباط والالتزام وبناء الشخصية، والتي لها مردود نافع سواء للفرد أم لمجتمعه، فمن خلال فترة الدراسة يتعلم التلميذ كمية من المعلومات التي تساعده في فهم طبيعة الكون وفهم شخصية الإنسان بمنهجية تعليمية، فالمتخرج وهو حامل لشهادة رسمية قد تجعل منه إنسان ذا احترام وتقدير، والعراق في القدم اعتمد على تسيير شؤون حياتهم وفق الإرشادات الروحانية التي يتلقاها الكهنة من الآلهة لإرشاد الناس والفرد بإتباع أساليب تربوية تضع الفرد في محط احترام وتقدير لخلق بيئة اجتماعية وتنمية مستدامة تعليمية منهجية، حيث إن الدافع الأساسي من التعليم في مدارس معتمدة قديما هو تلقي التلميذ للمنهج التربوي الذي يضفي عليه رجاحة العقل وضبط السلوك وفق إرشادات ألاهية، وهذا الدافع الذي استمد منه الباحث لدراسة الموضوع بكل دقة مع اخذ صفة مهمة في التلميذ العراقي القديم إلا وهي سلوكه المحترم اتجاه معلمه وإطاعته لأهله من اجل الالتحاق بالصف، وذلك لأهميته في تطوير الناس وحثهم على الأخلاق السامية والخصال الحميدة، إذ عُد التعليم في العراق هو النتاج التعليمي والمرآة الصادقة.

الكلمات المفتاحية: السلوك، التعليم، التلميذ، المدرسة.

أهمية البحث:

إن التعليم من المواضيع المهمة التي تلهم المعنيين لدراسة الجذور الأولى لبدايات التعليم، فهو من الموضوعات المتميزة الذي يصقل عقلية الفرد وتجعل منه شخصا واعيا وداركا لمختلف العلوم والمعارف، فالتعليم هو التطوير الحيوي لذات الإنسان، والتي تنعكس على تنظيم وتطوير مختلف شؤون العالم إن كان قديما أم حديثا، ولولا التعليم والعلم لما أصبحت البلدان على ما هو عليه الآن من تقدم في النتاجات المعرفية والفكرية التي أدت إلى تطوير العالم في مختلف علومها ونتائج ملموسة في الوقت الحاضر، والتي كانت مكملة لما بدأ بها أجدادنا في الزمن البعيد، فما هي إلا نتاجاتهم ونحن الآن بصدد تطويرها وتوسيعها، لذا جاءت أهمية الموضوع للطرح والدراسة لإكمال نهج العلم وتطويره والوقوف على نتاج الماضي وتوسيعها، ولكون العراقيون القدماء هم أول من وضح جوانب مهمة من الدراسة والتعليم ودورهم في وضع التعاليم التي قاموا عليها في مختلف المجالات التي حققها فلا بد من دراسة ذلك المنهج العلمي الرصين خاصة سلوك التلميذ وطرق التعليم والوسائل التي انتهجوها.

مشكلة البحث:

إن نشأة أي علم في إي رقعة جغرافية يكون بوليد التنشئة الاجتماعية للفرد فالعلم لا يبتعد عن التنظيم الاجتماعي للمجتمع، ناهيك عن معرفة الروابط بين الفرد وبيئته التي يتلقى منها الأسس الأولى للتطور والفكر والمعرفة، وبما إن موضوع الدرس يخص دراسة التعليم في المجتمع العراقي القديم فكان لا بد من دراسة هيكلية المجتمع وسلوكيات الفرد داخل البيت ومع أسرته، فهنا توجهت الباحثة لترجمة النصوص وتدقيقها إذ كان الاعتماد على النص دون معاينة المجتمع بالواقع، وهذا لا يعطي للموضوع الدقة المرجوة، لذا فالدرس تطلب جهدا كبيرا بالاعتماد على النصوص المسمارية ومتابعتها في المجتمع العراقي من خلال المقارنة لتوضيح سلوكياتهم ودراستها بشكل تفصيلي، إذ كانت الصعوبة في الرجوع إلى النص الأصلي وربط إحداثه بشكل تسلسل زمني لمعرفة بداية ظهور التعلم، حيث تم وضع النصوص في المكان الصحيح ونقل المعلومة بكل مصداقية وأمانة، وانسجام هذه النصوص التعليمية مع البيئة الاجتماعية لسلوك التلميذ.

المقدمة:

يُعد التعليم الوسيلة الفعلية لأعداد طلبة يافعين متعلمين لأسس العلم والمعرفة نافعاً للمجتمع مطورا المفاهيم التي تجعل الفرد اكثر ابداعا ورقياً لذا لاقى التعليم في العراق القديم اهتمام واسع الارجاء، خاصة بعد اختراع الكتابة والرموز المسمارية اواخر الالف الرابع قبل الميلاد، حيث كانت في بدايتها عبارة عن اشكال هندسية وصور رسمها الانسان القديم بهدف الادلال وارشاد المجتمع.

إن التعلم يُراد بها تلقين الفرد القيم والمفاهيم في مجتمعه عن طريق غرس هذه القيم والمفاهيم منذ طفولته، فهي تزيد الفرد بالقيم التي يتبناها المجتمع، في حين إن عملية التربية هي كل مجتمع يحرص على نقل عاداته وتقاليده إلى الفرد وخاصة الأطفال لكي يقوم بالأدوار الاجتماعية التي ستوكل إليه فيما بعد، لذا عُد التعليم هي عملية لتطوير

المهارات والأساليب التي يحتاجها الفرد لتحقيق أهدافه وطموحاته في الحياة السليمة في مجتمعه فهي دائما وابدأ تعمل بصورة مستمرة على تثبيت النماذج السلوكية التي تعتبر أساسية للحفاظ على الحضارة والمجتمع ومن ثم تطويرها.

لقد حرص العراقيون القدماء على تنشئة اطفالهم تنشئة تتصل اتصالاً وثيقاً بالقيم الاجتماعية والخلقية في بيئة بلاد الرافدين، تلك القيم التي كان لها قدر كبير من الاهمية فقد نظروا إلى التنشئة الاجتماعية على انها عملية نشر الفضائل وانتقالها من جيل إلى آخر، لذا لم يجدوا غير التربية والتعليم وسيلة افضل لبلوغ هذه الغاية الانسانية الاجتماعية.

وعليه فقد قسمت البحث الى تمهيد وأربع محاور لتوضيح بعض القيم والسلوكيات التي اتبعت في تعليم التلاميذ، فقد اوضح المحور الأول دور الالهة في التعليم، في حين بين المحور الثاني اثر المدارس في تربية التلميذ، وجاء المحور الثالث ليوضح السلوك الذي يتعلمه التلميذ من دور الاهل ودور المرشدين الدينيين، ناهيك عن دور المعلم الاساسي في صقل شخصية التلميذ والذي جاء في المحور الرابع.

التمهيد:

إن ظهور الكتابة وتطور رموزها وطريقة كتابتها، سواء ببداية الرموز ثم الحروف، إنما هو نتاج تاريخ طويل أنتجته الحضارة السومرية (حضارة بلاد الرافدين)، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تطور الفكر العراقي منذ بدء التكوين البشري متخذين من الأحوال الطبيعية مفتاحا لهم ولبداية تطورهم، فيرجع تاريخها إلى حوالي ٤٢٠٠ ق.م وربما أقدم من ذلك بكثير، (رشيد، ٢٠٠٤، صفحة ١٥٩) فمن خلال تدوينهم للإرشادات الدينية وللقصص والحكايات والأمثال، أخذت الكتابة تحتل مكانة واسعة بين الإفراد خاصة بعد اعتماد الحكومات والمعابد على الاهتمام بتعليم الموظفين وكهنة المعابد الكتابة من اجل تسيير شؤون الإدارة والحكم فهي المفاتيح التي تفتح الأبواب المغلقة للحوارات بين الإطراف. (علي، ١٩٩٧، صفحة ٥٧)

فالبداية كانت عبارة عن نقوش ورسومات تترك على جدران الكهوف والمنازل والتي تطرد الأفكار السيئة عن أهل الدار وعن المجتمع إضافة لرسم حيوانات مفترسة باعتقادهم تبعد الأرواح الشريرة، ولتلافي إخطارها وإضرارها، وهذا المبدأ وفقا لما يحيط بالإنسان العراقي من مجتمع متخوف من الأرواح والمجهول والخطر، والتي ترجع إلى قبل ظهور الكتابة، (سليم، ١٩٩٦، صفحة ١٥٦) وشيئا فشيئا توسع الفكر وتطورت الأفكار والرموز إلى الهجائيات المختلفة، وظهور الكتابة ذات الأهمية الكبيرة في الجماعات الإنسانية. (إبراهيم، ٢٠٠٦، صفحة ٣٠) ولهذا فقد عمد السومريون إلى استعمال رموز تحاكي خيالهم ورموز بسيطة قريبة لأفكارهم مع دمجها لتكوين تراكيب تصبح جملا ذا معنى مفهوم وهكذا، لذا فالشكل النهائي للكتابة السومرية لم يكن مولد في فترة قصيرة، بل لوحظ تطور ونمو مستمران وفعالان للحروف السومرية. (غندورة، ١٩٩٦، صفحة ٧٤)

المحور الأول: الإرشادات الدينية – التعليمية

إن الدين العقيدة التي تسكن دواخل النفس البشرية بالفطرة، خاصة العراقي القديم أعطى الميزة الخاصة لهذه الفطرة الدينية بل وأضفى عليها القدسية وطورها تدريجيا، متخذا من الظواهر التي تحيط به قوى خارقة يستند عليها بحكم أنها الأساس لوجوده على الأرض وتمتعه بالنعم، وانطلاقا من هذا المفهوم، فقد أضفت قدسية العقيدة عليهم حب الاطلاع والبحث والتعلم، لذا بدأ الإنسان القديم بالفضول والتطلع لفهم كينونة الكون والوقوف على تكويناته للدراسة والفهم ومن ثم التعلم. ولكثرة تعدد الآلهة عند العراقيون القدماء* فقد كان هناك مجموعة من الآلهة التي تدعو إلى ضبط النفس والالتزام بالسلوكيات التعليمية تحت تعليم تربوي من قبل معلمين أكفاء وكهنة يستمدون التعاليم من آلهتهم**:

١- الإله انكي*** الذي عُد رب الأرض وهو المسؤول عن تعليم البشر وإرشادهم لإتقان طرق الكتابة والتعلم، (Dorme, 1949, p. 31) (زايد، ١٩٩٦، صفحة ١٤٥) وكان لهذه الكتابة حامي يحرس هذه الطرق الكتابية وضوابطها وإتقانها بصورة صحيحة للأفراد، وأنه المسؤول عن حمل القلم ذات إشعاع النور الذي يخُط على الرقيم وينهج أسس الحياة وتعلم الدروس والعبر والسلوكيات والأخلاقيات التي تصقل التلميذ صقلا يجعل منه شخص متعلم ذا عقل مبتهج ويشرف عليهم معلمين يختارهم الإله لهم معرفة متقننة بالكتابة والحكمة. (فاضل، ١٩٨٧، صفحة ٨٤)

وكان دور كهنة معبد الإله انكي انه يحث التلميذ على الالتحاق بالقاعات التي هيأها الإله انكي من اجل معرفة العلوم، ورسالة انكي للتلميذ هي: **((... لقد أعطاك انكي الحكمة الواسعة هدية منه ... المرأة التي تشع بهجة وسروراً أنها المرأة الحقيقية الكاتبة، وهي سيدة المعرفة كلها، أنها توجه وترشد أصابعك على الطين، لقد زينت الكتابة على الألواح الطينية، لقد جعلت اليد متألقة بالأقلام الذهبية ...))**.(Vanstphout, 1978, p. 37)

*يمثل الفكر الديني السومري حلقة من تطور الفكر العقلي في بلاد الرافدين فهو حصيلة ثقافات نابعة من تجارب الحياة التي تواجه الإنسان السومري، لذا تميز دينهم بالتعددية والحيوية والتجديد والثقافة الممزوجة بالدين والوعي الأخلاقي. للمزيد يُنظر: بقة، اثر ديانة وادي الرافدين، ص٣٧.

**قسم العلماء التعليم في العراق القديم على حقب ثلاثة، إذ انحصرت الحقبة الأولى: من عصر فجر السلالات (٢٨٠٠-٢٤٠٠ق.م) وحتى عصر أور الثالثة (٢١١٢-٢٠٠٤ق.م)، وتلتها أهم الحقب وهي الحقبة الثانية: التي أمدتنا بنصوص السلالة البابلية القديم (٢٠٠٠-١٦٢٠ق.م)، وأخيرا الحقبة الثالثة: وهي التي بدأت من نهاية العصر البابلي القديم واستمرت حيناً من الزمن، حتى تشكل التعليم الحلقة المتطورة والمستمرة لوقتنا الحاضر. للمزيد يُنظر: وليد الجادر؛ وعبد الإله فاضل، دور العلم والمعرفة، ص٨٤؛ الراوي، المدرسة في العراق القديم، ص ص٥-٦.

***عُد الإله انكي من الآلهة الخاصة بتعليم البشر وإرشادهم لتعليم الكتابة والثقافة والعلوم، مدينته اريدو ولقب باللغة السومرية (أيا يزو)، وكان له شأن مهم في المدينة إذ رسم السكان له هيئة مقدسة يستمدون من خلالها طرق متعددة للتعلم، فتخيلوا إن امرأة ترفع أطفالها المعلقين بثيابها من اجل إن تعلمهم إلية التعلم والفهم والإرشاد. للمزيد يُنظر: Edouard Dorme, Les Religious de Babylonia et Assyria, Paris, OP.CIT, 1949, P32؛

عبد الحميد زايد، الشرق الخالد (مقدمة في تاريخ حضارة الشرق الأدنى من العصور حتى عام ٣٢٣ق.م)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٦، ص١٤٥.

لم يكن التعليم عند انكي يكتفي به الصـبيان فقط، بل كان للفتاة حق الالتحاق بالدروس وتلقي المعرفة والكتابة والقراءة بل ولها حق التخرج والعمل بما يناسـب شـهادتها، وان الإتقان والتفنن في الخط والحركات والرموز هي مهارة ألاهية يهبها الإله للتلميذ من اجل صنع إنسان يقود شؤون البلاد سواء كان تلميذ أو تلميذة.

٢- الآلهة "أيا" والإله "مردوخ" الخاصـين بالمعارف والعلوم وحماية العلم من التطرف ونقله بطرق ديناميكية آنذاك. (فاضل، ١٩٨٧، صفحة ٨٤)

٣- الإله نبو هو من الآلهة التي كان لها الدور الرئيس والواضـح أفادت المجتمع العراقي بإرسـال الإيحاءات والإرشادات الدينية لإرشاد الإفراد بتعلم الحروف المسمارية، فهو اله القراءة والدراسة والقلم وكتابة الحروف والمقاطع، وهو الحامي والآمن للطلبة والكُتاب وهو المسـيطر على القدر وقدرات الإنسـان العقلية والفكرية، لذا رمزوا إليه بالقلم المدبب. (بقه، ٢٠٠٩، صفحة ٤٧) قدم بعض التلاميذ نصوصهم المدرسية كرسالة للإله نبو: **((... الإله نبو سيدي العظيم، سـيدة ايقيشـا مردوخ، ابن نبو ليعود من اجل إن يحفظ حياته وان يطيل أيامه وان يهدأ سـريرته، وان يطيب جسـده، ويبعد عنه المرض وقد كتبت الرقيم إلى المعبد وبيت الإله نبو ...))**. (القط، ١٩٨٢، صـفحة ١٠٤) (علي ع.، ٢٠٠٦، صفحة ١٠٦)

٤- الآلهة نيسـابا آلهة الكتابة والعلوم والمعارف، بل كان المعلمين ينصـحون التلميذ بأخذ الرشـد والنصـح من الآلهة نيسـابا فهي التي تهب التلميذ الذكاء والنشـاط طيلة فترة تعلمه في المدرسـة وحتى وقت انتهاء تعليمه (تخرجه)، (باقر، مقدمة في تاريخ الحضـارات القديمة (تاريخ العراق القديم)، ج١، ١٩٥٥، صـفحة ٧٦) فمن أقوال احد المعلمين السـومريين لأحد التلاميذ المتخرجين: **((... يا تلميذي لقد أصـبحت الآن آهلاً بلقب الكاتب، لقد أعليت قدر نيسـابا ملكة المعارف ...))**. (بقه، ٢٠٠٩، صفحة ٤٨)

٥- اله خايا وهو زوج الإلهة نيسـابا، له ميزة خاصـة وهو إن يضـع ختمه المميز على رقيم التلميذ الذكي، إذ اكتشـف علماء الآثار ختم اسـطواني يرجع تاريخه إلى العصـر الأكدي ويظهر في الختم صـورة للإله وهو يسـتريح على كرسـي ويمسك القصب المدبب بيديه. (سليمان، ١٩٨٠، الصفحات ١١-١٢).

وكان لجميع الآلهة معابد خاصة بهم لعبادتهم وتأدية فروض الولاء والطاعة وإقامة الصلوات والأدعية التي يتقربون بها إلى إلههم*، ويتم فيها تجميع الناس لإرشادهم وتوعيتهم وتعليمهم تعاليم الإله وتقديم النصح والمشورة التي تضفي على الناس القيم وتحسـين سـلوكياتهم وفق منطق الإله وضـبط أنفسـهم وكبح غرائزهم، وكان بالمعبد غرف وملاحق وبعض هذه الغرف تكون قاعات دراسـية، يتم فيها تهيئة دروس التعلم والكتابة للتلاميذ والتي يتم إعطائها من قبل

*كان الإشراف على خدمة الآلهة في المعابد تتم من قبل الكهان والكاهنات، يتولون أرشاد الناس إلى إقامة الصلوات والطقوس من واجبات مجموعة من الكهان والكاهنات، وكان لكل واحد من هؤلاء لقب حسب المهنة التي يزاولها في المعبد ولم تكن مهنة الكهنة تقتصر على الأمور الدينية فقط، بل كانت لهم مهام ثقافية وهي الأخذ بالمعارف واستنساخ التأليف الأدبي والديني من وثائقها الأصلية القديمة وكانت لهم مهام تعليمية كتعليم الخط المسماري وقواعد اللغة السومرية والإشراف على الجوانب الاقتصادية للمعبد. للمزيد ُنظر: بالخير بقه، اثر ديانة وادي الرافدين، ص٥٢.

الكهنة والمعلمين (النعيمي، ٢٠٠١، صـفحة ١٧) لذا يُعتبر المعبد القاعة الدراسـية الأولى مسـتمدين أسـس التعلم من اله المدينة والآلهة الأخرى التي لها تأثير قوي في الرشد والنصح. (سليم، ١٩٩٦، صفحة ٢٠٢)

وشـبه الكهنة قاعات الدرس بأنها عبارة عن عيون مفتوحة يسـتمد منها التلاميذ الضـياء والبريق اللامع الذي يُنير دربهم وطريقهم نحو تغذية عقليتهم بالانضباط والسلوكيات التي من شأنها إن تجعلهم في مكانه مرتفعه في مجتمعهم وذا بصـيرة متفتحة لفهم المعارف وتطويرها، (علي ع.، ٢٠٠٦، الصـفحات ١١١-١١٢) وما هي إلا إرشـاد الآلهة ونصـيحتهم بتعلم العلوم والمعرفة وتعلم الكتابة والقراءة على أيدي الكهنة الذين هم يسـتمدون تلك المعرفة من الإله: **((... بيت يشبه الآلهة له محراب، ... كأنه الوعاء الذي غطى بالكتان، البيت الذي يشبه ألوزه، التي تقف على قاعدة، يدخل فيه من عيناه مسدودتين ويخرج منها وعيناه مفتوحتين حلة المدرسة ...))**.(Gorden, 1960, p. 142)

وهنا تتشكل الصورة اتجاه أوليات ظهور المدرسة إذ كانت عبارة عن غرفة وفيها ساحة ذات مساحة محدودة ويتم فيها تعليم المواد الأولية البسيطة التي تجعل التلميذ يلتحق بها وهو مغلق العين ولحين تلمذه على أيدي المعلمين حتى يصبح مفتوح العينين ويصبح كطائر يرفرف بجناحيه يصبح بصيراً حتى وان كان أعمى.

وأصـبح المعبد فيما بعد يتكون من غرف كثيرة، كل غرفة خاصـة بمرحلة معينة لتعلم علوم ومعارف تختلف عن المرحلة التي قبلها وبعدها، وتدريجيا أصبح المعبد هو المدرسة الأولى في أية مدينة سومرية أو بابلية، التي تعلم فيها التلاميذ طرق الكتابة حتى إن الكتبة أصبحوا ملاصقين بالمعبد، (صالح، ١٩٧٣، صفحة ٣٩١) والجدير بالذكر إن المعبد يقوم على إعمال ووظائف الكهنة والكتبة للقيام بالشـعائر الدينية التي يمليها عليهم الآلهة ويقومون بتدريبها وإعدادها للأفراد والطالبين العلم والتعلم (سارتون، صفحة ٢١٧) وهذا بالتالي يعكس الجانب الثقافي للمؤسسة الدينية بتشكيل فئة متعلمة في المجتمع العراقي القديم وتدوين الكتابات التي تضفي التعلم والتصورات الدينية. (مرعي، ١٩٩٤، صفحة ٩٩)

فالمعبد وإدارته له الفضل في ظهور وسيلة التدوين، خاصة بعد الحاجة الماسة لكتابة الصلوات والأدعية من اجل حفظها ونقلها للأفراد بكل دقة، (سارتون، صفحة ٢١٧) لذا فالحاجة لضرورة الكتابة هي من الدوافع التي أمدت المجتمع لإتقانها وإنشاء الرقيم الطيني لإثبات دقة المعلومات المدونة، (مرعي، ١٩٩٤، صفحة ٩٩) وحفظ أشهر السنة وتسجيل الأشهر الصالحة للزراعة أو الصالحة للحصاد، لذا فالإدارة الدينية والقوى الإلهية لها الفضل بظهور الكتابة، (سليم، ١٩٩٦، صـفحة ١٥٦) وقيل عن الكتابة قديماً: **((الكتابة أم الخطباء وأبو الأسـاتذة، جاهد لان تكون بارعاً في الكتابة لأنها سوف تغنيك، كن مجداً في الكتابة لأنها ستوفر لك الغنى والعيش الرغيد، إن الكتابة بيت الغني وهو سر الانو ناكي الكتابة نصـيب الخير أنها الغنى والعيش الرغيد))** (النعيمي، ٢٠٠١، صـفحة ٢٦) عد العراقي القديم الكتابة والتعليم أنها من الأسـس والقيم التي تبعث للإنسـان الحياة الهانئة والإدراك الجوهري والحس المرهف والأدب والقدسـية ببناء شخصية تحمل العلم والشعور بمشاعر الآخرين وفهم إمكانيات متطلباتهم.

المحور الثاني: المدارس

تُعد المدرســة المكان التعليمي التربوي، الذي يتلقى فيها الطلبة كم هائل من المعلومات والعِبر التي تُنمي الفكر وتضفي عليه التطلع والتقدم، فيها جوانب مهمة من الأسس المنهجية والإبداعية الممزوجة بالدروس الإرشادية الدينية التعليمية والتربوية.

وهذا الهدف الرئيس الذي أدى إلى تطوير هذا الجانب بتوسعة مكان تلقي الدروس من غرف المعبد الصغيرة الحجم إلى أماكن خاصة للقاعات الدراسية وتدريجيا أصبحت هناك أماكن خاصة لكل مرحلة من مراحل الدراسة، إضافة لكثرة طالبي التعليم والدارسين والقُراء والكُتاب،(Labert, 1998, p. 99) لذا تم إنشاء بيوت وأكواخ مفصولة عن المعبد وشيئاً فشيئاً توسعت هذه البيوت وأصبحت عبارة عن ساحة واسعة تحيط بها غرف متعددة كل غرفة خاصة لدراسة مادة محددة، فبناء المدرسة هو الشيء الأساس في كل مدينة وإنشاء المدارس والخروج بهيكلية تعليمية هو الهدف الأساس في نشر العلم والمعرفة وتوعية الناس وإرشادهم، وفق منهاج يُقر عليهم من قبل القوى العليا الإلهية والتي تصقلهم صقلا علمياً مهذباً مُعتمداً على الثقافة وحب الحكمة.(Labert, 1998, p. 99)

ويمكن تقسيم المدارس إلى أنواع متعددة من بداية ظهورها في عصر فجر السلالات وحتى العصر البابلي القديم(١٨٩٤-١٥٩٥ق.م):

١- بيت طبات: وهي التي قصدوا بها المدرسة الابتدائية كما في زمننا الحاضر، والتي يتعلم فيها التلاميذ أسس المعرفة البدائية كمعرفة مفردات اللغة والقراءة والكتابة والموسيقى، وسميت بأسماء عدة منها مدرسة بيت الألواح ومدرسة بيت مو_شو.(Labert, 1998, p. 99)

٢- المدرسة المتوسطة المتقدمة: وهي المدرسة التي تشبه إلى حد ما مدارسنا المتوسطة الحالية، وفيها يتعلم التلميذ مواد دراسية متقدمة وفيها نوع من المواد العلمية المركزة كعلوم الفلك والرياضيات والهندسة والأدب، وفيها أسماء متعددة مثل بيت مم وبيت الكتبة وبيت الحكمة ومدرسة الكتبة.(Black, 2000, p. 47)

٣- المدرسة المستقلة: وهي اسمي درجات الدراسة والوعي والثقافة، عندما يصل التلميذ إلى مرحلة المدرسة المستقلة يكون قد وصل مرحلة من الثقافة التي يمكن إن يعتمد عليه في مراحل الحياة، ويكون قد اكتسب مهارة وتعلم مهنة تثبت جدارته وإتقانه وبالتالي يمكن إن يشغل إي منصب أو إدارة في الدوائر الملكية. (Gadd, 1956, p. 18)

٤- المدرسة الملكية: وهذا النوع من المدارس يكون خاص وتابع لقصر الملك فقط، يتلمذ فيها أبناء الملوك وأبناء كبار الشخصيات والنبلاء والرسل والمبعوثين، وهي تشمل كل أنواع المدارس من الابتدائية والمتوسطة وحتى المدرسة المستقلة.(Pollok, 1999, p. 169)

وكان لهذه المدارس نظام وإدارة وسياسة من قبل بعض الإشراف والمسئولين على سير العملية التعليمية، ومما لاشك فيه إن ازدياد عدد المدارس وتوسعها في العراق القديم صاحبها تعقد في إدارة مهامها، (الأحمد، ١٩٨٢، صفحة ٢٥٠) إذ كان لابد من وجود أكثر من موظف مختص في تحمل حقل الإدارة إضافة إلى تنظيم سير التدريس من قبل

المعلمين وتنظيم الكادر التدريسي، (النعيمي، ٢٠٠١، صفحة ٢٥) كانت الهيئة التشكيلية في المدرسة تتشكل من هيئة إدارية ومعلمين وتلاميذ وعلى رأسهم أشراف الكهنة بأمر من الإلهة. (Gorden, Sumerian proverbs and fables , 1958, p. 205)

فالهيئة الإدارية في المدرسة تشكلت من المدير، أطلقوا على المدير لقب (أب بيت طبات) ويعني أبو المدرسة، والذي لاقى المدير احترام وتقدير كبيرين داخل المدرسة، فهو الممسك بزمام النظام والتأديب وضبط المنهاج الإداري العام للمدرسة، والحازم الذي يعاقب التلاميذ غير المنتظمين والمشاكسين وعقوبتهم تصل إلى السجن لمدة شهرين، إذ يرد في إحدى النصوص السومرية: **((... أبو المدرسة إي شيء باستطاعته إن يعمل انه محترم كثيراً عليك إن تعمل ما يشاء هو توجد عصا في المدرسة إنني سوف اضربه بها وإنني سوف أضع السلسة النحاسية على قدمه إنني سوف أضع في البيت الذي يذهب إليه لكن في المدرسة سجن لمدة شهرين ...))**. (النعيمي، ٢٠٠١، صفحة ٢٦)

وكان يعاون المدير في الإدارة الأخ الكبير (أخ ربو في السومرية) وهو المعاون أو القدوة الذي يشرف على مهام التلاميذ وتوزيعهم في صفوفهم وتميزهم الذكي من البطيء الاستيعاب لتهيئة فروض ودروس إضافية لتقويته **((... إذا لم يسمع ابن التلميذ دروسه جيداً فان الأخ الكبير يوعظ ويضرب ...))**، (مارغريت، ١٩٨٠، صفحة ٣٦) ونص آخر ينُص: **((... إنا لا افهم (ذلك) انه لا يدخل في ذهني ... لان (أخي الكبير) لم يشرحه لي ... ماذا علي إن أقول لك ...))**. (Pedersen, 1998, p. 176) ورد نص على لسان مدير المدرسة إشارة إلى خصومه بين تلميذ وأخيه الكبير تنص على ما يلي: **((... الشجار قد وصل إلى إذني إي (المدير) فلماذا يكون أخوك الكبير موجوداً وفي الكتابة انه أكثر علما منك التلميذ الذي يعمل مثلك سوف يصطدم مع أخيه الكبير ...))**. (النعيمي، ٢٠٠١، صفحة ٢٧)

ثم يأتي بعدهم رجل يدعى الخبير وأطلقوا عليه لقب أمان والتي تقابل في وقتنا الحاضر المشرف **((... الخبير يشبه العقيق ...))**،(Gorden, Sumerian proverbs and fables , 1958, p. 205) ويأتي بعدهم الكاتب، ثم موظفين خاصين على تهيئة واجبات الطلبة ومراقبتهم على إكمال واجباتهم المدرسية وقراءتها من قبلهم قبل عرضها على معلم المادة خاصة الدراسة الابتدائية يكون فيها كثير من هؤلاء الموظفين لضبط التعلم وتقوية يداه على الإمساك بالقلم وتقوية خطهم،(Pedersen, 1998, p. 176) وكان من ضمن الهيئة الإدارية في المدرسة (رجل النظام) وهو الرجل الإداري يقوم بمراقبة سلوك التلاميذ خارج المدرسة ويوجه التلاميذ بخصوص سلوكهم خارج(Gadd, 1956, p. 19) **((... لا تتجولوا حول الطريق العام عندما تخرجون في الشارع ...))**.(Gadd, 1956, p. 18)

هناك إداري آخر يدعى (الوكيل) وهو المسؤول عن ضبط القواعد داخل المدرسة ومتابعتها، (النعيمي، ٢٠٠١، صفحة ٢٨) ويكمل الدور الإداري في المدرسة هم موظفي مراقبة بوابة المدرسة أي (الحراس) كذلك مراقبة حضور التلاميذ وتسجيل الغياب لاطلاع أهلهم على كافة تفاصيل أبنائهم،(Vanstphout, 1978, p. 38) ولا يخفى على العراقي القديم حضوره الراقي والمميز وإبراز أناقته وحضوره وقيافته إذ تم تعيين موظف يمل هندسة عالية من حيث ترتيب هندام التلاميذ، إضافة لدور عاملي الخدمة في المدرسة لإظهار المدرسة بطلة جميلة من حيث العناية بنظافتها. (كريمر، السومريون، ١٩٧٣، صفحة ٤٨)

ونستنتج مما سبق إن التعليم كان يهدف إلى الانخراط في سلك الهيئة الحاكمة إذ كان وسيلة للحصول على مناصب عالية في الحكم، والتعليم يخدم المطالب الدينية واكتساب نصيب منها، ورفع المستوى الاقتصادي للفرد وتحسين حالته الاجتماعية، التعليم من اجل العلم ومع قلة أصحابه إلا أنهم كان احد الدوافع الأساسية للتعلم.

المحور الثالث: سلوك المعلم التربوي

حظي المعلم باحترام داخل المدرسة بشكل خاص وفي المدينة بشكل عام، باعتباره المربي والمعلم والمباشر الأول على تعليم التلميذ السلوكيات التربوية والانضباط إضافة للتوجيهات والإرشادات الدينية والتعليمية، ناهيك عن تعلم الحروف والمقاطع وتدريبهم على القراءة، بحكم أنه المسؤول والمرشد بأمر من الآلهة لإيصال طرق التربية الحديثة لجعل المدينة وأهلها وأبنائها تحظى برضا الآلهة وكسب عطفهم.

إذ اقتصر التعليم في بادئ الأمر داخل المعابد بأشراف كبار الكهنة والكتاب حيث ضمت المؤسسة الدينية-التعليمية أعداد كبيرة من الكُتاب* الذين كانت لهم الدور الأكبر في إعداد التلاميذ وتطوير صنوف المعرفة، مبتدئين بتعلم الحروف المسمارية والعلامات لذا جاء اختراع الكتابة نتيجة حتمية لبناء المدارس الذي يعد أبرز مساهمة حضارية في بلاد الرافدين أغنت التاريخ الحضاري البشري. (النعيمي، ٢٠٠١، صفحة ١٧)

وإن مهنة الكاتب هي مهنة حساسة ودقيقة وتقتصر على الآباء والأبناء إي مهنة وراثية وهذا لأهميتها وحفظها: **((... كاتب الملك وهو رجل عجوز وحكيم اخذ ابن أخيه حيث لم يكن لديه أبناء يخلفونه ووضعه عند بوابة القصر محاولاً إدخاله لكي يأخذ من بعده وظيفة كاتب الملك...))**. (إسماعيل، ١٩٩٩، صفحة ٨٧) وهذا يدل على المكانة الاجتماعية التي كان يراها سكان بلاد الرافدين في الكاتب إضافة لطرق تفنن الكتابة والخط وإيضاح المادة المراد صقلها على الألواح، لذا نظر المجتمع إلى الكاتب والى فنهِ نظرة المعلم والمرشد الديني: **((... الكاتب الذي تتحرك يداه مع حركة فمه هو حقاً كاتباً ...))**.(Gorden, Sumerian proverbs and fables , 1958, p. 202) بل هي فن وعلى متقن هذا الفن إن يتقنه بأبهى صورة وأسهل طريقة لإيصال المعلومة للمتلقي بكل سلاسة وسهولة فنصيحة الكاتب لأبنه هي عبارة عن اهتمام الكاتب بنقل المهنة لابنه بكل دقة وعليه إن لا ينشغل بأشغال الأمور الحياتية بل يكون جل اهتمامه هو مهنته وهي الكاتب والخط والكتابة فيقول: **((... لم أجعلك ق في حياتي تحمل حزم القصب ولم تحمل في حياتك حزم البردي التي يحملها الصبيان لم أرسلك قط في حراثة حقلي ولم اقل لك في حياتي اذهب واحمل لتعينني ...))**. (Sagg, 1965, p. 72) ولأهمية الكاتب في تسيير شؤون الدولة والقيام بجوانب مختلفة سواء سياسيا أو عسكريا أو ادريا فقد تنوعت وظائف الكاتب إذ يوجد أنواع من الكتبة، كاتب عسكري، كاتب الجيش، كاتب الأصم. (Gadd, 1956, p. 191)

إن مهنة الكاتب تشبه إلى حد ما مهنة المعلم في الوقت الحاضر ولكن اختلاف في المسميات ، ففي المعبد يطلق عليه الكاتب بحكم تعليم الطلبة على الكتابة وتقوية يداه باستخدام القلم المدبب في حين بعد التطور وبناء المدارس أطلق عليهم معلمين بحكم ازدياد المسؤوليات، إذ أصبح دور المعلم هو تعليم القراءة والكتابة إضافة لضبط السلوك وحُسن التصرف، الإله نبو مصنف انه كاتب الآلهة المتمكن من قلم القصب، (النعيمي، ٢٠٠١، صفحة ٢٨) (كريمر، السومريون، ١٩٧٣، صفحة ٤٨) يرشد أحد الكتبة تلميذه بالتوجه إلى الإله نبو لطلب النجاح والتوفيق وتقوية يداه على

*إن ممارسة الكتابة وإيصالها بكل دقة للأجيال، تعتبر من المهمات الدقيقة والمميزة جدا وكان يزاولها من هم من ذرية أو عائلة تحمل هذا اللقب ويتفاخر اللاحقون بأنهم من ذرية ونسب احد الكتاب. للمزيد يُنظر: هاري ساكز، قوة آشور، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، ١٩٩٩، ص٢٠٨.

تعلم الخطوط والحروف إذ يقول: **((... أدعو الإله نبو إن يساعدك في النجاح في فن الكتابة ...))**. (القط، ١٩٨٢، صفحة ١٠٩) في الوقت نفسه فإن التلميذ يرد على كاتب القراءة بأنه قد دعاه واكتسب من الكتابة ما يفسر جميع المعلومات الغامضة التي كانت تراوده ويكمل حديثه بان تعلم الحروف ليس بالأمر الهين فقد امتازت الحروف السومرية بالصعوبة وكثرة حروفها* إذ يقول التلميذ: **((... تعلمت من الآلهة واكتسبت معرفة جميع الكنوز الكتابية الغامضة وقرأت الكتابات السومرية والاكدية الصعبة ...))**.(Luckenbill, 1972, p. 986)

ولكثرة الصعوبة في التعلم والإتقان يلتجأ التلميذ ويتضرع بالدعاء لطلب المرونة والتسهيل من الآلهة، ولا يخفى دور المعلم في تسهيل الحفظ أيضا إذ تكمن مساعدته بكثرة الأسطر على الرقيم الطيني، (مختار، ١٩٩٩، صفحة ٢٨) حيث يلجأ المعلم على كتابة الحرف في السطر الأول ويترك باقي الأسطر للتلميذ ليسير على نفس الطريقة في كتابة الحرف وحفظه وإتقانه ليقلد الكتابة بعد المعلم، لذا كان على التلميذ إن يعيد الكتابة على الرقيم أو قد يدون المعلم كتابته على الجهة اليسرى من الرقيم ويترك الجهة اليمنى للتلميذ أو يقسم الرقيم إلى خطوط متقاطعة، (ألفؤادي، ١٩٧٩، صفحة ٦٠) يحدث أحد المعلمين التلاميذ عن طرق الكتابة وإتقانها فيقول: **((... الإله المقدس، الإله المقدس، يكتب التلميذ حسب طلب المعلم ...))**، (كريمر، السومريون، ١٩٧٣، صفحة ٥٣) إن إعادة الكتابة للحروف والكلمات تجعل التلميذ يتقن الكتابة والحفظ في الوقت نفسه، كما يحدث في يومنا هذا بان يطلب المعلم من التلاميذ إعادة كتابة الكلمات والأرقام مرات عديدة من اجل تسهيل عملية الحفظ.

إن المعلومات التي حصلنا عليها عن المعلمين حتى وإن كانت قليلة ولكنها أعطت الصورة الواضحة عن المعلم ودورة في سير العملية الدراسية وتنظيم منهاج واجبات التلميذ ودوره في التربية والتعليم لإكمال دور الأهل من حيث أعطى الأولاد الصفات والسلوك المهذب والاحترام الواجب إتباعه، حيث إن المعلمين اختلفت مهامهم ووجهات آراءهم ولكن الغاية واحدة وهي نهج سلوك التلميذ نهجا يتناسب مع تقدم وتطور بلاد الرافدين قديما، من خلال إيصال جوانب مختلفة من الحياة في ذهن التلميذ، فيوجد داخل المدرسة العراقية معلمين ذا اختصاصات متنوعة منهم من خاص بالدراسات العلمية كالعلوم والفلك والرياضيات ومنهم من كانت مهنته هي الدراسة الأدبية وتعليم الأتكيت وتقوية الفكر وتحسين الأداء وضبط المنطق والأسلوب، ففي المعبد كان يطلق على هؤلاء المعلمين كلا حسب تخصصهم، منهم من أطلق عليه لقب كاتب الحساب ومنهم كاتب القراءة في بلاد سومر ومنهم لقب كاتب العلامات والحروف. (ألفؤادي، ١٩٧٩، صفحة ١٠٩)

وكما بينا آنفا، بأن الأهل يعطون المجال للمعلمين لأخذ حريتهم في تربية الطفل خاصة أولى سنوات التحاقه بالدارسة، إذ إن المعلم ودوره الكبير يعد مكمل لتربية الأهل، وبالتالي يجعل من التلميذ ذا شخصية محترمة حيث يقول لأباه: **((... لقد دخلت قبل أستاذي ثم أخذت مكاني وكان أبو المدرسة يقرأ لوحي ...))**، (الأحمد، ١٩٨٢، صفحة ٢٥٠) والقصد من تعبير الابن هو إن للمعلم مقام خاص وهيبة تفرض على التلاميذ قبل دخوله قاعة الدرس وإن سياسة الاحترام والتقدير يدل على سلوك التلميذ الأخلاقي، وان أبو المدرسة إي المدير ما يقوم به بمتابعة التحضيرات والواجبات التي أنيطت للتلميذ من قبل المعلم وان اهتمام المدير بمتابعة الواجبات يعد تخفيف الأعباء على المعلم من ناحية أخرى هو متابعة واجبات التلاميذ لتقوية مستواهم.

*أن عدد العلامات المسمارية التي كان على التلميذ القديم تعلمها يزيد كثيراً عن عدد حروف الهجاء كما كانت إشكالها مختلفة كثيراً بعضها عن بعض مما يستغرق وقتاً أطول لتعلمها. للمزيد يُنظر: ألنعيمي، المناهج التعليمية في العراق القديم، ص٥٦.

المحور الرابع: سلوك التلميذ

إن التنظيم الموجود داخل المدرسة العراقية القديمة، جعل التهذيب يصب على التلميذ بشكل كبير، وهذا يأتي من الهيئة المدرسية المنظمة تنظيماً عملياً وعلمياً من إدارة وكادر تدريسي مما أعطى الصفة الحِسنة للتلميذ، أضف لذلك البيئة التي يعيش فيها التلميذ لها طابع اجتماعي وتأثير قوي عليه من حيث احترامه وسلوكه المهذب وترتيب هندامه، لذا كان البيت بالدرجة الأولى الانعكاس الأكبر على التلميذ ومن ثم البيئة المدرسية المنظمة التي تساعد على تشكيل شخصية التلميذ ذات الأخلاق العالية والتعليم التربوي.

كان الالتحاق بالمدرسة يتم وفق شروط وضوابط يمليها عليهم الكهنة بأمر الآلهة، والطالب المستوفي للشروط يتم قبوله بالمدرسة، ويطلق عليه وقتها لقب أبن المدرسة، (Gorden, Sumerian proverbs and fables , 1958, p. 206) من تلك الشروط إن يكون عمر التلميذ ست سنوات وأحيانا يتراوح بين الستة إلى ثمانِ سنوات، (Gorden, Sumerian proverbs and fables , 1958, p. 205) ويستمر في الدراسة والتعلم إلى حين بلوغ السن القانوني ومن المرجح إن يبلغ عمر العشرينات حتى يتخرج، بحيث يؤهله هذا العمر للقيام بالواجبات التي يقوم بها دون الحاجة إلى الاستعانة بمن اكبر منه بعد إن درس وتعلم واكتسب خبرة ومعرفة. (رشيد ف.، ١٩٩١، صفحة ١١٥)

وكما بينا آنفاً إن السلوك الحِسن والرُشد والنصح للتلميذ يأتي من الأهل، فهم الواعز الأخلاقي والديني لتحفيزهم وإرشادهم بالدخول للمدرسة والالتحاق في الصفوف الأولية وإكمال منهاج مسيرتهم الدراسية، (فاضل، ١٩٨٧، صفحة ١٠٠) (Pedersen, 1998, p. 176) فينصح احد الإباء ابنه ويقول: **((... يا ولدي أنت ستجلس إمام قدمي والآن سأتحدث إليك افتح إذنيك من عصر طفولتك إلى وقت بلوغك، يجب عليك إن تجلس في المدرسة ...))**. (رشيد ف.، ١٩٩١، صفحة ١١٥) (Gadd, 1956, p. 17) وهذا يفسر مدى اهتمام الأهل بالثقافة والمعرفة اللذان يكملان بناء الشخصية وإكمال الوعي الذهني عند الأبناء، بل ويعكس مدى الاحترام والإصغاء لكلام الإباء والأخذ بالنصح، وهذا بالتالي يعكس الثقافة والتطور واللين الذي كانت تعيش فيه أهالي بلاد الرافدين.

إن الأخلاقيات التي يتعلم عليها الطفل منذ الصغر تكون راسخة في عقليته، ومن هذه الأخلاقيات هي اهتمام التلميذ بمظهره الخارجي اهتماما كبيراً وفي ذات الوقت تُعتبر من الشروط الأساسية التي تليق بالالتحاق بالمدرسة، (ميشيل، ١٩٨٠، صفحة ٢٨٧) وبالتالي فإذا اخفق التلميذ عن هذا الجانب فإنه يتعرض للتوبيخ وأحيانا للضرب إذا استمر الإهمال من قبل التلميذ، ورد نص توبيخي من قبل موظف المراقبة المسؤول عن الاهتمام بزي التلاميذ والإشراف على هندامهم: (باقر، مقدمة في أدب العراق، ١٩٧٦، صفحة ٤٥) **((... لقد تسكعت في الطريق ولم تنظم ملابسك ...))**، (كريمر، السومريون، ١٩٧٣، صفحة ٤٦) لذا كان التلميذ وأهله من المهتمين بعناية الثياب والاهتمام بنوعيتها وجودتها ليبدو أبنهم أبهى طله وذا مظهر مرتب أسوة ببقية اقرأنه من التلاميذ، ناهيك عن منح التلميذ الحرية في التسلية في الطرقات ولكن تحت إشراف الأبوان ومراقبة من قبل الموظفين المختصين بإبراز تلاميذ المدرسة العراقية بأحسن صورة.

فالتربية وانضباط النفس البشرية من الإرشادات التي اعتاد عليها الأهالي خاصة الإباء، إذ كان أرشاد الإباء لأبنائهم بالالتحاق في المدرسة والحث على التعلم وأنارت العقل بمعلومات العلوم من النصائح التي اعتمدها الإباء بل من

الجوانب المكملة لحياة الفرد الناجحة، فالابن العاصي الذي لا رغبة له بالالتحاق للمدرسة يكون له عواقب لا تحمد عقباه خاصـة من الأهل أولا ثم من المعلمون ثانياً: **((... لم أجعلك قط في حياتي تحمل حزم القصـب ولم تحمل في حياتك حزم البردي التي يحملها الصبيان الصغار ولم أرسلك قط للعمل في حراثة الحقل ولم أرسلك قط لتشتغل عاملا ولم اقل لك يوما ما اذهب واعمل لتعينني ... عسى إن تجد خطوة عند إلهك وان يعلو شأنك بكرم خلقك وان تكون كبير حكماء مدينتك وان يذكر اسمك في أفضل المجالس وان يدعوك إلهك بأحسن الأسماء ...))**. (علي ف.، ١٩٩٩، صفحة ١٢)

وهذا الوصف الدقيق لاهتمام الأب بابنه وجعله يهتم بالدراسة لا غير دون الالتجاء للعمل أو مساعدة أباه، وهنا يقف الأب المربي الناصـح لأولاده، بعدم مضـيعة الوقت في الطرقات أو مرافقة أصـدقاء السـوء الذين يجوبون الشـوارع ويعملون على تضييع أوقات الدراسة، فيبرز دوره بضرورة إطاعة أبنه لمعلمه وعليه الالتزام بواجباته المدرسية وتوفيره لكافة متطلبات الدراسـة، إذ لم يُثقل أبنه بالعمل الشـاق أو في أمور الزراعة وفي الوقت ذاته فان المشـاعر الأبوية تجل من الكلمات القاسية إلى دعوات رقيقة للآلهة.

ولم يكتفي الحال بنصـائح الأهل بل إن التربية تكملها الانضـباط المدرسـي من قبل الهيئة المدرسـية من قبل المدير والمعلمون، رسـالة والد احد الطلاب إلى المعلم: **((... إلى بيت الألواح، أرشـده (ولدي) كي يذهب إلى المدرسـة وراقب يداه وسـاعده ...))**. (النعيمي، ٢٠٠١، صـفحة ١٧) إذ كانت أدوات الدراسـة تتألف من اللوح الطيني والقلم ذات الرأس المدبب المصنوع من القصب والذي يدوون فيه واجباتهم فعند الكتابة به على اللوح تظهر طبعه. (Meyers, 1997, p. 500)

إن إعطاء الفرصة للمعلم بإكمال دور التربية إلى جانب دور الأهل، هو جزء من صقل شخصية التلميذ وجعله تلميذا ذا أدب وعلم، لذا إن الصفات التي اكتسبها التلميذ قد أملت عليه حُسن التصرف (كاظم، ٢٠٠٢، صفحة ١٢) حيث يقول: **((... لقد دخلت قبل أستاذي ثم أخذت مكاني وكان أبو المدرسة يقرأ لوحي ...))**. (الأحمد، ١٩٨٢، صفحة ٢٥٠) شعور التلميذ بالخجل والإحراج وهو يدخل الصف الدراسي قبل دخول المعلم، وذلك للجلوس في المكان المخصص له وعدم اخذ مكان غيره، فهي سلوكيات انتهجها من أهله ومعلميه، ورغم تلك السلوكيات إلا انه كانت تحصل مشاجرات فيما بين التلاميذ حول أحقية الجلوس ويبدو إن هناك صـنف من التلاميذ المشـاغبين كما أوضـح التلميذ في رسـالته بان احدهم قد اخذ مكانه ولكن المعلم استمر في قراءة واجبه.

إن التعليم لا يختلف باختلاف الظروف والأماكن وإنما هو نهج يتبع بكل دقة في كل الأحوال، فكان ولازال الأسلوب يتبع بتدريب التلميذ على إمسـاك القلم المدبب وإتباع رسـم العلامة أو الحرف عن طريق التنقيط، إذ يلجأ المعلم على تنقيط الأسـطر لكتابة الحروف والكلمات من اجل إن يتعلمها التلميذ بالكتابة المتكررة من اجل حفظها، ناهيك عن الحروف المسـمارية وعلاماتها الكثيرة والصـعبة حيث كان تعلمها يحتاج وقتا ليس بالقليل من اجل حفظها وكتابتها بطريقة تعليمية ومن ثم قراءتها، الرسالة والكلمات غير الواضحة التي يصعب فهم مغزاها الدقيق ولكن بشكل عام فهي توحي إلى المدرسـة والى ظهور دور الكاتب وأهميته بالمدرسـة رسـالة من معلم إلى تلميذ: **((الكاتب غير البارع ...**

القريب... المدرسة....)).(Gorden, Sumerian proverbs and fables , 1958, p. 203) لذا كان تقسيم أيام الدوام من الأساسيات في مرحلة الدراسة، إذ يشرح تلميذا وضعه في المدرسة قائلا: **((... تقدير مدة دراستي في بيت الألواح في غضون شهر كامل، وأيام حريتي ثلاثة أيام في الشهر، وأعيادي ثلاثة أيام في الشهر، وأربعة وعشرون يوما في الشهر تتضمن فترة دراستي في بيت الألواح أنها طويلة ...))**. (حمود، ١٩٩١، صفحة ١٢٧) وكما هو موضح فترة الالتزام بأوقات الدوام والدراسة بأن اغلب أيامه يقضيها في المدرسة حيث يستمر التحاقه خلال أربعة وعشرين يوماً من كل شهر، وتكون فترة حريته في ثلاثة أيام من كل شهر، في حين تكون الأعياد ثلاثة أيام، وخلال الست أيام يعتبر التلميذ في وقت استراحة وحرية.

والنص السومري الآتي يوضح منهاج الدراسة من خلال الحوار بين المعلم وتلميذه:

((أيها التلميذ إلى أين كنت تذهب في الأيام الماضية؟

كنت اذهب إلى المدرسة، ماذا كنت تفعل في المدرسة؟

اقرأ لوحي مثل بقية التلاميذ وبعدها آكل غذائي ثم احضر لوحي الجديد واكتبه وبعد الظهر يهيأ المدرس اسطر اللوح الذي يجب عليه كتابته وبعد انتهاء الدوام ارجع إلى البيت فأجد أبي جلسا اسلم عليه واعرض عليه خط يدي واقرأ له ما كتبت، فسر ذلك والدي،

وبعدها أقول: إنا عطشان أعطوني لأشرب إنا جوعان أعطوني خبزا اغسلوا رجلي وجهزوا سريري لأني أريد إن أنام وأيقظوني في الصباح الباكر كي لا اذهب متأخراً إلى المدرسة واضرب بالعصا وعندما اصحوا مبكرا اسلم على أمي وأقول لها: أعطيني لأذهب إلى المدرسة فتعطيني أمي رغيفي واذهب إلى المدرسة ...)). (كريمر، من ألواح سومر، ١٩٥٦، صفحة ٤٧)

يبدو إن التلميذ يستمر في ذكر الأسباب التي يضرب من اجلها وأخيرا يقترح على والده إن يدعو المعلم إلى البيت ويقدم له بدله وهدية وبعد إن يفعل الوالد ذلك يبدأ المعلم بمدح التلميذ ويعد للوالد ميزاته الحسنة وموهبته في تعلم الكتابة، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على تبادل الرشوة وسماح المعلم بتقبل تلك الرشوة، ويبدو أيضا من النص إن حياة التلميذ في القدم هي تشبه إلى حد ما حياة التلميذ في الوقت الحاضر من التزام بمبادئ البيت والمدرسة وإطاعة كلام المعلم واحترامه لهم، كذلك سلوك التنظيم التربوي من رجوع التلميذ للبيت وحتى ذهابه مرة ثانية للمدرسة.

كان التلميذ بما يعيش به من نعم يشكر الآلهة عليها فهو الذي منحه الفرصة العلمية بالتحاقه بالمدرسة، ويشكر والداه على توفير مستلزمات الدراسة من الثياب المطهرة والمرتبة ليبدو أكثر شياكة إمام اقرأنه، ولكنه يطمح للحصول على افخر الثياب وأغلاها، (النعيمي، ٢٠٠١، صفحة ٢٨) (كريمر، السومريون، ١٩٧٣، صفحة ٣٤) ورد نص تعبيراً عما يشعر به التلميذ من فوارق طبقية بينه وبين اقرأنه وهو يسرد لوالديه ويشتكي من قلة الملابس وانه بحاجة إلى الصوف والملابس الفاخرة ليبدو أكثر أناقة إمام أساتذته واقرأنه فيقول: **((... شكرت الإله سين عسى إن يصونني ويمجدني، إن ثياب من معي من الثياب الآخرين، في تحسن سنة بعد أخرى، في حين جعلت أنت ثيابي تبدو أكثر بساطة وتواضعا عاما بعد عام، ولعلك وفرت شيئاً من المال بإرسالك ثياباً بسيطة وقليلة بالرغم من علمي إن الصوف**

متوفر في بيتنا مثلما يتوفر الخبز، حقا لقد جعلت ثيابي رديئة، وعلى سبيل المثال ابن ادد-ادنام، الذي كان أبوه عبدا مملوكا لأبي فانه استلم لتوه ثوبين جديدين- إما أنتما فلا تكثرون لإرسال ثوب واحد فقط على الرغم من إنكما السبب الذي جاء بي إلى هذا العالم وان أمه قد تبنته فان الطريقة التي تحبه بها أمه تجعلني اعتقد إنكما لا تحباننني على الإطلاق ...)). (علي ف.، سومر أسطورة وملحمة، ١٩٩٧، الصفحات ٢٨٠-٢٨١)

أسلوب المقارنة بين الأطفال أو التلاميذ من الأساليب الموجودة في كل المجتمعات وعند كل إنسان خاصة بين التلاميذ بمقارنة حاجياتهم فيما بينهم، فالموضوع ذاته يحدث في الوقت الحاضر، فالأبناء والتلاميذ يتذمرون ويشتكون مما يملك غيرهم من مستلزمات أو ما يرتدون من ثياب أجمل من ثيابهم ويفتقرون إلى صفة القناعة ويتذمرون مما يملكون ومما يوفره أهاليهم من متطلبات الدراسة وغيرها، وهذا موضوع شائك ومعقد فمن الصعب حجب الغرائز وكبح هذه الصفة عند الأبناء إلا عن طريق تذكيرهم بما ينتظرهم من العقوبات الإلهية، وإن توفير المال صفة امتاز بها أهالي العراق القدماء ليستطيعوا توفير حاجياتهم.

إذ إن التعليم لم يكن متاحا لجميع إفراد المجتمع ولم يكن تعليما إلزاميا، بل اقتصر الأغنياء وأبناء الكتبة، وذلك لمتطلبات الحاجة في الطبقات الوسطى والفقيرة من المجتمع كانت تدفع بأبنائها إلى العمل دون زجهم في المدارس إلا نادراً فاغلب الطلبة كانوا إبائهم من الطبقة العليا والحكام والمبعوثين والمشرفين على إدارة المعابد وضباط الجيش وموظفين الضرائب والكتبة. (كريمر، من ألواح سومر، ١٩٥٦، صفحة ٤٦)

ولم يقتصر دخول المدرسة على الصبيان فقط بل رافق ذلك دخول للفتيات، فكما كان هناك كاهنات وملكات ف أيضا كان هناك تلقي كبير للفتاة إن تتعلم وهذا يدل على عدم التفرقة والتميز بين الأبناء وعدم وجود فوارق شخصية بين الجنسين، لذا نرى مشاركة المرأة إلى جانب الرجل في اغلب وظائف الحياة وجوانبها، وهذا بحكم التعلم وانفتاح العقلية التي من شأنها إن تضفي صفة الإبداع والتقدم للمجتمع وانحلال العنصرية والفوارق الطبقية والإنسانية أن وجدت، فبعضهن أصبحن كاتبات مثلاً وجود أسماء نساء على المعاملات الاقتصادية، ناهيك عن تخصيص آلهة للكتابة تدعى الكاتبة العظيمة.(Harris, 1963, p. 138)

الخاتمة:

يُعد الاهتمام بالتربية والتعليم أفضل وسيلة لبلوغ أي غاية إنسانية اجتماعية، وهذا ينشئ من الصغر بإتقان الطفل على منهج تربوي صحيح من قبل الأهل قائم على الاحترام والتقدير، ويؤدي إلى تنشئة اطفالهم تنشئة تتصل اتصالاً وثيقاً بالقيم الاجتماعية، وكان دور الحكومة والمعبد بارز في تحفيز إفراد المجتمع على تثقيف مبادئهم وحثهم على التعلم وإتقان الخط والقراءة، لما لها من دور بارز في تسيير شؤون المجتمع، فالعلم هو المفتاح الذي من خلاله تُحل رموز وحوارات شائكة ومعقدة، فالتعلم هو فن من الفنون التي لها استراتيجيات مهمة وقيمة ومردود فعال للفرد الملقن للوصول بطرق سهلة ومفهومة للمعلومة.

إن التعليم في العراق القديم يشــبه الى حد كبير التعليم في الوقت الحاضــر، وذلك من خلال اهتمام المعلم بطريقة ايصال المعلومة للتلميذ خاصة المراحل الاولى من تعلمه الحروف وتدوينها على الواح لإعادة كتابتها مرات عدة من قبل التلميذ ليسـهل عليه حفظها وأتقانها، كذلك هناك تقارب كبير من ناحية اهتمام الاهل بالزي المدرسـي وتوفير احتياجات ابنائهم بكل ما يملكون من مقدرة حتى لا ينقصـهم شـيء وبالتالي لتقليل المقارنات فيما بين الزملاء، فالتعليم لا يختلف باختلاف الظروف والاماكن وانما هو نهج يتبع بكل دقة في كل الأحوال وفي اغلب الأماكن.

المصادر والمراجع العربية:

١- إبراهيم، هاني عبد الرحيم، تاريخ الكتابة والمكتبات وأوعية المعلومات، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٦.

٢- إسماعيل، شعلان كامل، الحياة اليومية في البلاط الملكي الآشوري ٩١١-٦١٢ق.م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٩٩.

٣- الأحمد، سامي سعيد، التعليم في العراق القديم، تعليم الجماهير، العدد ٢٠-٢١، ١٩٨٢.

٤- الجادر، وليد؛ عبد الإله فاضل، دور العلم والمعرفة في العراق القديم، مجلة المورد، مجلد ١٦، العدد الثالث، ١٩٨٧.

٥- ألفؤادي، عبد الهادي، النصوص المدرسية (القرصية الشكل)، بغداد، ١٩٧٩.

٦- القط، رمضان، نصوص جديدة من بابل، مجلة سومر، مجلد٣٨، العدد ١-٢، ١٩٨٢.

٧- ألنعيمي، شـيماء علي احمد عبد الرزاق، المناهج التعليمية في العراق القديم في ضـوء النصـوص المسـمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل/ كلية الآداب، الموصل، ٢٠٠١.

٨- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضـارات القديمة (تاريخ العراق القديم)، ج١، ط١، مطبوعات دار المعلمين العالية، بغداد، ١٩٥٥.

٩- باقر، طه، مقدمة في أدب العراق، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٦.

١٠- بقه، بالخير، اثر ديانة وادي الرافدين على الحياة الفكرية سـومر وبابل (٣٢٠٠-٥٣٩ق.م)، رسـالة ماجسـتير غير منشورة، جامعة الجزائر/ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- قسم التاريخ، ٢٠٠٩.

١١- حسب الله، سيد؛ محمد جلال غندورة، تاريخ الكتب والمكتبات عبر الحضارات الإنسانية، الرياض، دار المريخ، ١٩٩٦.

١٢- حمود، حسين ظاهر، مكانة الأولاد في المجتمع العراقي القديم، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٩١.

١٣- رشيد، عبد الوهاب حميد، حضارة وادي الرافدين (ميزوبوتاميا)، دمشق، دار الثقافة، ٢٠٠٤.

١٤- رشيد، فوزي، المدارس الفكرية في العراق القديم، مجلة آفاق العربية، العدد١-٢، ١٩٩١.

١٥- زايد، عبد الحميد، الشرق الخالد (مقدمة في تاريخ حضارة الشرق الأدنى من العصور حتى عام ٣٢٣ق.م)، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٦.

١٦- ساكز، هاري، قوة أشور، ترجمة: عامر سليمان، الموصل، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٩٩.

١٧- سارتون، جورج، تاريخ العلم، ترجمة: محمد خلف الله وآخرون، ج١، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

١٨- سليم، احمد أمين، دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم (العراق_ إيران)، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦.

١٩- صالح، عبد العزيز، الشرق الأدنى القديم، ط٢، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣.

٢٠- علي، فاضل عبد الواحد؛ عامر سليمان، تاريخ العراق القديم، ج٢، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، ١٩٨٠.

٢١- علي، فاضل عبد الواحد، سومر أسطورة وملحمة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٧.

٢٢- علي، فاضل عبد الواحد، الكتابة والكتاب في حضارة وادي الرافدين، مجلة الأقلام، العدد السادس، ١٩٩٩.

٢٣- علي، عادل هاشم، البنية الاجتماعية في العراق القديم (من عصر فجر السلالات وحتى نهاية العصر البابلي القديم)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد/ كلية الآداب- قسم التاريخ، ٢٠٠٦.

٢٤- فرزات، محمد حرب؛ عيد مرعي، دول وحضارات الشرق العربي القديم، ط٢، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٤.

٢٥- كريمر، صموئيل نوح، السومريون، ترجمة: فيصل الوائلي، الكويت، وكالة المطبوعات، ١٩٧٣.

٢٦- كريمر، صموئيل نوح، من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، (بيروت: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٥٦.

٢٧- كاظم، شاكر مجيد، التنشئة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة، ٢٠٠٢.

٢٨- مارغريت، روثن، عوم البابليين، ترجمة: يوسف حبي، بغداد، ١٩٨٠.

٢٩- مختار، محي الدين، التنشئة الاجتماعية (المفهوم والأهداف)، مجلة قسنطينة للعلوم الإنسانية، العدد التاسع، ١٩٩٩.

٣٠- ميشيل، دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٠.

المصادر الأجنبية:

1- Black, J, et-al, aconcise dictionary of akkadion Wiesbaden, 2000.

2- Edouard Dorme, Les Religious de Babylonia et Assyrie, paris, 1949.

3- Gadd, teachers and students in oldest schools, londen, 1956.

4- Gorden, E., look at the wisdom of summer and akkad, bibliotheca orientalis, 1960.

5- Gorden, E., Sumerian proverbs and Fables. Journal cuneiform studies, philadiphia, 1959.

6- Harris, Rirkah, the organization and administration of the cloter in ancient babylonia, JESO, VOL6, Part2, 1963.

7- Labert, R., Manuel AKKadeinnde, Paris, 1998.

8- Luckenbill, D.D., ancient records of assurian and Babylonian, NewYork, 1972.

9- Meyers, E.M., archacology, IN the near east, VOL4, Oxford, 1997.

10- Pedersen, O., archires and libraries in the ancient near east 1500-300B.C, London, 1998.
11- Pollok, Suson, ancient Mesopotamia, cambridge, 1999.
12- Sagg, H.W.F.,every day life in babylonia and Assyria, London, 1965.
13- Vanstphout, H.I.J., "LIPIT ESTAR Paris in the E. DUB. BA", JCS vol30, 1978.

هەڵسوکەوتی خوێندکار لە قوتابخانەی عێراقی کۆن لە ماوەی هەزارەی سێیەمی پێش زایین

مامۆستاي ياريدەدەر. ئامينە سالم ئيبراهيم
زانکۆی بەغدا – کۆلێژی ئاداب
ئیمەیڵ Amna.s@coart.uobaghdad.edu.iq

پوختە

پەروەردە ئەو بنەما بنیاتنەرەیە کە منداڵ لە تەمەنی بچووکەوە وەریدەگرێت. وەک ئامرازێکی بەهێز لە داڕشتنی کەسایەتی و پەرەپێدانی عەقڵدا کاردەکات، لە کۆتاییدا رێنمایی تاک دەکات بەرەو سەرکەوتن و گەشەکردن و پێشکەوتن. ئامانجی سەرەکی پەروەردە- چ لە سەردەمی کۆن یان مۆدێرن- هەمیشە چاندنی ڕەفتار و دیسیپلین و پابەندبوون و گەشەپێدانی کارەکتەری دروست بووە، کە هەموو ئەمانە دەرئەنجامی ئەرێنی هەم بۆ تاک و هەم بۆ کۆمەڵگا بەدەست دەهێنن.

بەدرێژایی سالانی خوێندن، خوێندکاران دەوڵەمەندی زانیاری بەدەستدەهێنن کە یارمەتیان دەدات لە چوارچێوەیەکی پەروەردەییدا لە سروشتی گەردوون و کارەکتەری مرۆڤ تێبگەن. دەرچووی خاوەن بڕوانامەی فەرمی زۆرجار ڕێز و قەدرزانی لە کۆمەڵگادا بەدەست دەهێنێت. لە عێراقی کۆن ژیان بەپێی ئەو ڕێنماییە ڕۆحییە ڕێکدەخرا کە قەشە لە خوداوەندەکانەوە وەریدەگرت، تاکەکان ئاڕاستە دەکرا بۆ گرتنەبەری بنەما ئەخلاقی و پەروەردەییەکان کە ڕێزی کۆمەڵایەتی و گەشەسەندنی هزری بەردەوامیان پەروەردە دەکرد.

ئامانجی سەرەکی پەروەردە لە قوتابخانە کۆن و فەرمیەکاندا ئەوە بوو کە بناغەیەکی ئەخلاقی و فیکری بۆ خوێندکاران دابین بکات کە بە ڕێنمایی خودایی لە قاڵب دراوە. ئەم پێشمەرجە ئیلهامبەخش بوو بۆ تۆژەر بۆ ئەوەی بە وردی ئەم بابەتە بکۆڵێتەوە، تیشک دەخاتە سەر سیفەتێکی سەرەکی خوێندکاری عێراقی کۆن: ڕەفتاری ڕێزگرتنیان بەرامبەر بە مامۆستایان و گوێڕایەڵی دایک و باوکیان، بەتایبەتی لەکاتی ئامادەکاری بۆ چوونە قوتابخانە. ئەم ڕەفتارە ڕۆڵێکی گرنگی هەبوو لە بەرەوپێشبردنی بەها بەرزەکان و ڕەفتاری ئەخلاقی. بەم شێوەیە پەروەردە لە عێراقی کۆن وەک بەرهەمی پاڵاوتنی کولتووری و ڕەنگدانەوەی ڕاستەقینەی کۆمەڵگا سەیر دەکرا.

وشەی سەرەکی: ڕەفتار، پەروەردە، خوێندکار، قوتابخانە

The Behavior of the Student in the Ancient Iraqi School During the Third Millennium BCE

Asst. Lecturer Amna Salem Ibrahim
University of Baghdad – College of Arts
Email: Amna.s@coart.uobaghdad.edu.iq

Abstract

Education is the foundational building block that a child receives from an early age. It serves as a powerful tool in shaping personality and developing intellect, ultimately guiding the individual toward success, growth, and advancement. The primary goal of education—whether in ancient or modern times—has always been to instill proper behavior, discipline, commitment, and character development, all of which yield positive outcomes for both the individual and society.

Throughout their schooling years, students acquire a wealth of knowledge that helps them comprehend the nature of the universe and human character within an educational framework. A graduate who holds an official certificate often gains respect and appreciation in society. In ancient Iraq, life was organized according to spiritual guidance received by priests from the gods, directing individuals to adopt ethical and educational principles that fostered social respect and sustainable intellectual development.

The core purpose of education in ancient, formal schools was to provide students with a moral and intellectual foundation shaped by divine instruction. This premise inspired the researcher to explore this subject with precision, focusing on a key trait of the ancient Iraqi student: their respectful behavior toward teachers and obedience to their parents, especially when preparing to attend school. This behavior played a vital role in promoting noble values and ethical conduct. Thus, education in ancient Iraq was seen as a product of cultural refinement and a true reflection of society.

Keywords: Behavior, Education, Student, School